مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (9) العدد (1) 2025
ISSN (Print): 2710-446x ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2025/12/31، تاريخ إرسال التعديلات: 2025/02/03، تاريخ النشر: 2025/02/20

تأثير الوطن وغربته في شعر أحمد رفيق المهدوي

محمد نوري عبدالسلام قمو
قسم اللغة العربية، كلية التربية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا
m.gammo@asmarya.edu.ly

المستخلص

هذه الدراسة المتواضعة تهدف إلى دراسة شخصية أدبية تاريخية، هي شخصية (أحمد رفيق المهدوي)، عاش رفيق حتى وافته المنية في سنة 1961م شاعر الوطنية الليبية كما صنَّفه الأستاذ محمد الصادق عفيفي الذي جمع له الجزء الأول من ديوانه، فلم يُخيب ظن مواطنيه فيه يوماً من الأيام رغم سنوات الاستعمار التي سيطر فيها على تراب بلاده. وبهذا قد سيطر على شعره الجانب الوطني، فكان همه دعم الوحدة الوطنية، والتحريض على الجهاد ضد الإيطاليين حتى تضايق المحتل منه فتَّم نفيهُ إلى خارج أرض الوطن بتركيا ودولة مصر الشقيقة، عاش حياته في غربة وحنين لوطنه. فقد عبر في قصائده الوطنية عن سخطه المستمر لمحتلي أرضه، فلم يهادن الايطاليين ولم يقبل احتلالهم لوطنه كأمر واقع، هكذا هي شخصية الشاعر المبدع الذي رمى بسهمه في هذه النداءات المتكررة لبني وطنه، وبذلك يدرس هذا البحث مدى تأثير الوطن في غربة المهدوي، وكذلك مدى دعم الوحدة الوطنية، والتحريض ضد الإيطاليين في شعره سواءُ داخل البلاد أو خارجها. كما يشير هذا البحث إلى دور الكتَّاب والدارسين إلى ضرورة الاهتمام بهذا الأديب الذي عالج بشعره قضايا مهمة يستفاد منها للأجيال القادمة في توعيتهم لما يحاك لهم من مؤامرات ضد دينهم ووطنهم.

الكلمات المفتاحية: الوطن، الشعر، الغربة، الحنين.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، لقد حمل الشعر الليبي المسألة الوطنية بوصفها قضيته الأساسية، فهو في قصائد شعرائه أشبه بنشيد جماهيري يستقي موضوعاته وتتشكل بنيته من داخل الحركة الوطنية بمراحلها المختلفة، ومثلما أعطت ساحات المعارك رجالاً أشداء يقاتلون بالسيف، أعطتنا كذلك شعراء المعركة الذين يقاتلون بالكلمة.

فالشاعر أحمد رفيق المهدوي، من أكبر شعراء القطر الليبي عاش في برقه حتى لقب بالشاعر البرقاوي. مما لا ريب فيه أن أحمد رفيق قد انصب شعره، بل معظمه على الجانب السياسي نظراً لتأثره بالحركات القومية في شـــعره، فالاحتلال الإيطالي لوطنه جعل منه مجاهدًا عظيماً بكلمته الشـــعرية التي أيقظت الشعور الوطني لدى أبناء شعبه.

هذه الحياة التي عاشـها أحمد رفيق كانت مليئة بمناهضـــة الاسـتعمار حتى اضـطرته قوة الطليان إلى الخروج من وطنه ويعيش في غربته الحزينة وهو يتألم بفراق وطنه.

في ضـوء ذلك نرى مدى تصـور المهدوي لهذه المفاهيم الوطنية التي توجعه من فراق وطنه فتارة يناجي الوطن، وتارة أخرى يتذكر الأصـــدقاء والأحباب ومدنه العريقة التي كانت تحتضـــنه، وهو يعاني مرارة الغربة التي تفقده التصدي للاستعمار الإيطالي وخروجه من بلاده بأسرع وقت.

أسباب اختيار الموضوع:

تم الاختيار لدوافع عدة بعضـها تعلق بتاريخ الحركة الشـعرية التي عاشـها الشـاعر في نظرته النضـالية، وبعضـــها الآخر يتعلق بوطنية الشـــاعر أحمد رفيق المهدوي، ودوره الملتزم بقضـــايا الوطن وهمومه، وبعضـــها يتعلق بالأدب عامة وتتمثل في محاولة إبراز مواكبة الأدب الليبي للاتجاهات الأدبية الحديثة في الوطن العربي.

أهمية الموضوع:

هذه الأهمية تكمن لمدى قدرة الشـــعر الليبي المتمثلة في شـــعرائه على التعبير والتصـــوير والتفنن في اختيار الألفاظ المناسـبة التي تصـور نضـال الشـعب الليبي في مقاومته للاسـتعمار البغيض الذي دنس الأرض وسلب الخيرات ومنع الحريات.

الدراسات السابقة:

من بين الدراسات السابقة التي تمت الإشارة إليها في ثنايا البحث ما يأتي:

1_ محمد دغيم، مهرجان رفيق المهدوي.

2_ الصيد محمد أبوديب، المدرسة الكلاسيكية في الشعر الليبي الحديث.

3_ محمد الصادق عفيفي، ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية.

4_ معين بسيسو، عطر الأرض والناس في الشعر الليبي المعاصر.

5_ خليفة محمد التليسي، رفيق شاعر الوطن.

6_ عبد ربه الغناي، رفيق في الميزان.

المنهج:

بخصـــوص المنهج الذي تم اعتماده لتنفيذ هيكلية خطة البحث والســـير عليها هو الاســـتعانة بالمنهج الوصفي التحليلي.

ولهذا بدأت الدراســة بتمهيد وقسّـمت إلى ثلاثة مباحث وخاتمة متضـمنة لأهم النتائج التي تَّم التوصـل إليها فكان عنوان المبحث الأول: دعم الوحدة الوطنية عند أحمد رفيق المهدوي.

أما المبحث الثاني بعنوان: التحريض على الجهاد ضد الإيطاليين.

أما المبحث الثالث بعنوان: الغربة والحنين إلى الوطن في شعر أحمد رفيق المهدوي _ قصائد مختارة.

التمهيد

دراسة شخصية أدبية مثل شخصية أحمد رفيق المهدوي تشعر بالوقوف أمام شخصية تاريخية رسَّخت في أبناء شعبها الكثير من المبادئ القيمة التي يعجز أي أديب على إرسائها في ذاكرة الشعوب.

فالتاريخ هو ذاكرة الشعوب وهو الموجه لحركتها والتحكم في تطورها سواء وعت به أو غفلت عن قوانينه التي تحكم مسيرتها دون أن تدرك ذلك الإدراك الواعي.

والأدب هو روح الأمة، ومصـدر إلهامها، وباعث الحماسـة في أجيالها؛ لكي تبني على ألحانه مستقبلها وترفض واقعها الســيئ، وتتطلع إلى تغييره، أو تقوى على التغيير. فشــعر أحمد رفيق يمتزج فيه الأدب بالتاريخ، وبهذا يصبح منفذاً من منافذ الوطنية التي توصل إلى كراهية الاستعمار والتحرر منه.[1]

أحمد رفيق دعَم الوحدة الوطنية ودعا إليها، فهُجّر من بلده عدة مرات، فعاش جوانب الغربة والحنين، وناهض الاســتعمار، وحرّض على الجهاد ضــد الإيطاليين؛ لتخليص البلاد من شــرهم، له الكثير من النصـوص الأدبية، فهو يمثل شـخصـيات عديدة امتزجت في فنان واحد، عشـق الجمال، وخاصـة جمال بلاده الخلاَّب، تغنى بشواطئها، خاطب أصدقائه ومسيرة دربه، كانت قصائده عملاً من أعمال المقاومة الوطنية تبعث الأمل وتحرض على الصمود وتثير الحقد على الغزاة الأعداء.

المبحث الأول

دعم الوحدة الوطنية عند أحمد رفيق المهدوي

تعاقبت على ليبيا العديد من الدول الاســتعمارية التى مزَّقت أواصــر الشــعب الليبي، وأخّرته عن ركب الحضـارة ردحا من الزمن؛ لذا انصـبت أقلام الكتاب والشـعراء فى هذا المجال محرضـين أبناء الشـعب

1). محمد غميم، مهرجان رفيق المهدوي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط1993، ص59.

على النضـال والخلاص من الاسـتعمار البغيض، حيث يرون أن غرس الشـعور الوطنى الذى انصـب فى الجانب السياسي هو الطريق الوحيد؛ لإيقاظ روح الجهاد في أبناء الشعب الليبي.

ولعل من الضروري في هذا المبحث أن نعرّف الوطنية فهي:

لغة: و ط ن: الوطن منزل الإقامة في أوطان، ووطن، وأوطن أقام، واستوطنه اتخذه وطناً.[1]

وفي الاصطلاح الحديث: هو البلد أو القطر الذي ينسب إليه المرء من حيث جنسيته أو تبعيته، ويقطنه شعب من الشعوب.[2]

ومِن أدق تعريف للوطنية في الاصـطلاح: هو ذلك الشـعور الذى يتغلغل في نفس المواطن ينبض حباً صادقاً للوطن الذي عاش فيه ويرتبط ارتباطاً روحياً به"[3]

من هذه التعاريف استقى أحمد رفيق المهدوي دعوته للوحدة الوطنية وناضل من أجلها، حيث كان رفيق من دعاة الوحدة الوطنية وعشاقها، امتزجت بدمه واقترنت بعقيدته، منذ شبَّ وأدرك ما في الحياة.

وفي مقال لمحمد مصطفى رضوان في كتاب مهرجان رفيق الأدبي بعنوان: الوحدة الوطنية والعربية في شـــعر رفيق بقوله لقد طالب رفيق بالوحدة الوطنية في ليبيا بين الأقاليم الثلاثة (طرابلس وبرقه وفزان) وأقامها على أساس متين من الروابط الجامعة بين الأهلين، وهي كثيرة. لا غنى لهم عنها، كروابط اللغة والدين والنسب والجنس والمصالح والعادات والآمال والآلام. [4]

وقد أيد هذه الوحدة المنشـودة بالحجة القاطعة، فذكر في قصـيدته (وحدة ليبيا) أنه يؤمن بتوحيد الوطن في قوله:

دينُنَـا الـتـوحـيـد، فـالـتـوحـيـد في وطــن، لــيــس بــتــوحــيــد وَثَــنْ*

لا أرى الـتـفـريـق فِـيـمَـا بـيـنـنـا غــيــر مــحــوٍ، أوحــيــاة فــى مــحــن

1). الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د ط 1980 م ص662.

2). محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتاب العلمية، بروت – لبنان، ط2، 1999م، 72/1.

3). أنظر: محمد الصادق عفيفي، الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت– القاهرة– بغداد، ط 1، 1969م، ص9.

4). محمد دغيم، مهرجان رفيق الأدبي، مرجع سابق، ص 128.

كيف نحيا في غنى عن بعضنا إنمَّا نَحن كروح في بَدَن

نحنُ والحُب صفاً، تجمعنا لغةُ، دينُ، دمُ، عرقُ، وطن

انهضُوا للأمر فى إبَانه قبل قول: (الصَّيفَ ضَيعت اللبن) [1]

لقد أسهم أحمد رفيق المهدوي بقسط وافر في إظهار ملامح الوحدة الوطنية الصادقة النابعة من أعماق عربية خالصة، عندما اشتد به الحال ، ولاسيما في حقبة الاستعمار الإيطالي الذي كبد البلاد خسائر كبيرة، وعمد إلى نشر الدسائس والفتن داخل البلاد. [2] لم يرض شاعرنا بذلك، بل استجاب إلى وازعه الوطني لمناهضة الاستعمار، وتنبيه شعبه إلى ذلك بوحدة وطنية دعا إليها وجاهد من أجلها بقلمه الذى كان في ذلك الوقت نبراساً يدقُ فى عالم النسيان، وطريقاً يستنهض وحدة القطر الليبي للكفاح ضد المستعمر البغيض الذى دنس الأرض، وسلب الخيرات، ومنع الحريات.

لقد ذهب أحمد رفيق في دعوته لوحدة ليبيا إلى أبعد من ذلك، فقد أسرع ينبه بني وطنه بقصيدته الشهيرة المعنونة بـــ (قفا بتسم) بأن وحدة ليبيا لم تكن موقع خلاف في الماضي ولا فى الحاضر عقب العهود المتعاقبة، كما حذرهم من سياسة الاستعار الانجليزي القائمة على التفرقة بين الليبيين فيقول:

بلادي، وما شكواي إلاَّ لحالها بربك، أنصت لي أبثَّك أشجاني

تخالفنا فى الرأي (أحوج ما نرى إلى وحدة) لاشك أعظمُ خسران

متى كان هذا الرأي في عهد فتحها إلى عهد حكم الترك، أم عهد طليان؟

1). ديوان رفيق شاعر الوطنية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ج1، 1959م ص 39.

2). انظر: الصيد محمد أبو ديب، المدرسة الكلاسيكية فالشعر الليبي الحديث، جامعة عين شمس، مصر، رسالة ماجستير، ص240.

وثن- و ت ن: الوتن محركة: الصَّنمُ ج وُثُنُ، وأوتان، انظر مختار القاموس للشيخ الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، ب.ط، 1983 – 1984، ص 648.

وما السبب الداعي لتفريق بيننا ونحن، بحمد الله أصدق إخوان

أيعزُب عن عقل اللبيب سياسة خُلاصَتها (فرق تسد) كل إنسان

إذا لم نوحد صفنا اليوم، لم يقم لنا، فى غد أس لتشييد بنيان

وإن لم نؤيد بالعروبة، حقنا سيغمطنا الغربي فيه ببهتان[1]

قيلت هذه القصيدة فى إبريل سنة 1946 شكر فيها من هنأه بالقدوم وبيَّن أن ما فعله من أجل وطنه كان واجباً – لا منَّ فيه – ولكنه عرَّج على الوضع السائد في ليبيا عند مجيئه من تخالف في الرأي، وأشار إلى أن الواجب ألا نقف موقفاً سلبيًا إزاء حقوقنا الوطنية التي توحد أبناء شعبنا؛ لنيل حريته المغتصبة.

لم يبلغ أحمد رفيق المهدوي ربيعه حتى تعرض وطنه لغزو الاستعمار الإيطالي، حيث نظر الشاعر حوله فوجد الجميع يحملون السلاح رجالاً ونساءً، فانبرى بسهم في معركة التحرير بقلمه وفكره، فكانت قصائده وقوداً تلهب نار المعركة، وكلماته الصادقة رصاصا فى صدور الأعداء.

فمن دوره التحريضي والنضالي ضد المغتصب لبلاده قصيدة بعنوان: (نشيد الوطن) يقول فيها:

نحن أهل العز أبناء الوطن نحن أشبال الحمى نحمي الوطن

من سوانا يبذل الأرواح من؟ نحن نفدي بالدم الحر الوطن

نحن أبناء الغطاريف* الأسود سنعيد المجد حتما ونسود

لا نبالي بعدو أو حسود لا نهاب الموت في حب الوطن

1). ديوان شاعر الوطن الكبير أحمد رفيق المهدوي، (الفترتان الرابعة والأخيرة) طبع على نفقة وزارة العمل بالمملكة الليبية، ط1، 1961م، ص23، وقد قيلت هذه القصيدة إبريل سنة 1946م

الغطاريف: الغطريف بالكسر السيد الشريف ج الغطارفة، انظر مختار القاموس للطاهر الزاوي، مصدر سابق، ص 457.

نحن جند مستعد للكفاح إن دعا الداعي إلى حمل السلاح

في سبيل الفوز بالحق الصراح نرخص الغالي لتحرير الوطن[1]

استهل الشاعر قصيدته برفع الهمم، وبث روح الوطنية في أبناء وطنه، ويسأل الشاعر بقوله: من سوانا يبذل الأرواح من؟ وكأنه ينادي أبناء وطنه؛ للذود عن الحمى من بطش المستعمر البغيض، فهو نداء التخلص ونداء الحرية لشعبه، وفي بيته الثالث يرجع إلى التاريخ الذي سطر ملاحم بطولية لأجداده وقد شبه ذلك بأنهم أبناء الأسود الذين خاضوا المعارك البطولية ضد المستعمر البغيض، ويقسم بإعادة المجد والسيادة لوطنه وشعبه، هكذا بث الشاعر دوره التحريضي للجهاد ضد الطليان الذين اغتصبوا أرضه ودنسوا ترابه.

وفي حديث للدكتور: محمد دغيم "وفي حقيقة لارتباط شعر رفيق بقضايا الوطن جعلت جمهور الناس ممن عرفوا أو قرأوا شعره في تلك الفترة يبدون إعجابهم بكل ما قال رفيق من شعر سياسي في تلك الحقبة الحرجة التي كان يمرُّ بها الوطن، فشعره وصف لواقعهم وتعبير عن آمالهم السياسية وهو إعلاء لصوتهم المنبه إلى الأخطار المحدقة بالوطن من المؤامرات التي تحاك ضده[2].

أحمد رفيق المهدوي دعم الوحدة الوطنية فهو شاعر مرموق، وهذا ما جعل جل الأساتذة الكبار يقومون بدراسة شعره وخاصة في المهرجان الأدبي الذي أقيم تخليدا لرائد الوطنية في ليبيا بصورة خاصة والقومية في قضايا الأمة بصورة عامة، وإنّ دراسة ديوان رفيق الذي يحتوي على خمسة مراحل أدبية متنوعة تعالج قضايا مهمة، وتبعث ركائز يبنى عليها مصير الأمة العربية.

وبالتالي ينبّه البعض الكتَّاب والدارسين إلى تناول هذا الإرث الذي تركه الأديب المناضل رفيق، فما أحوجنا اليوم إلى هذه المفاهيم، فشعره ليس مجرد كلام مقضى يعطي حلاوة الوزن والقافية فقط؛ بل هو نبراس يضيء الطريق لأبناء الأمة في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية.

كان دعمه قويا للوحدة الوطنية، ففي قصيدة من ديوانه التي يعبر فيها بأن القصيدة ليست كلاما يقال، وإنما هي شريك للشعب في معاركه السياسية والنضالية خطوة خطوة في دعمه لوحدة الوطن والتماسك ضد المحتل، فيقول شاعرنا:

1). ديوان شاعر الوطن الكبير –أحمد رفيق المهدوي –الفترة الثالثة، مصدر سابق، ط1، 1946، ص1.

2). مهرجان رفيق الأدبي، محمد دغيم، مرجع سابق، ص106.

ألا أيهـا الشـــعـب الأبي إلى متى كـأنـك بـالأفـيـون جســـم مـخـدر

تَحَرّكْ أَفِقْ إن كنـت حيـا أمـا ترى طـغـاة بـغـيـر الـحـق تـنـهـى وتـأمـر

تـكـلـمْ ودافِـعْ عـن حـقـوقِـك لا تـنـم على ضـــيمِ مَن أمســـى لظلمك يســـهر [1]

فالوطنية في شـــعره فيض الإلهام والفطرة، فلا ترى فيها فتوراً ولا تكلفاً، لذلك جاءت قوية جارفة، ولقد تلمس في بعض معانيها أنها من المعاني المطروقة؛ ولكنه خلع عليها لباس الجدة، وظهرت شخصيته واضحة جلية تفصح عن نفسه الأبية المتمردة على الظلم والطغيان..." [2]

و"لقد عبَّر رفيق في شـــعره عن هذا الحب العميق الذي حمله لوطنه، فكان حبه للوطن هو المصـــدر الأول الذي تدفقت منه وطنيته، بما صاحبها من إشفاق عليه، وحنين إليه، وانشغال بقضاياه"[3]

فهذه العاطفة التي حملها لوطنه تجسـدت في هجرته وخروجه تجربة أليمة عاشـها أحمد رفيق في حزن ومرارة فقال:

رحيلي عنك عزَّ عليا جداً وداعاً أيها الوطن المفدى

وداع مفارق بالرغم شاءت له الأقدار نيل العيش كدا[4]

هكذا هو رفيق في حبه وحنينه إلى وطنه فهو: "يحتل منزلة كبرى في ليبيا، فهو شـاعر ناصـية البيان وطوع القوافي والأوزان، هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى فهو وطني مخلص قارع الاســـتعمار الايطالي بقلمه حتى ابعد عن بلده"[5]

وفي نهاية المبحث رأينا شـــاعرية عظيمة قادها مبدع برقة، تربى في أحضـــانها، ترعرع في ســـهولها الخضـراء الجذَّابة، قاد تاريخها المسطر بالكفاح والبطولة، صـورها تصـويراً حياً، وكانت أبياته الشـعرية

1). ديوان شاعر الوطن الكبير –أحمد رفيق المهدوي –الفترتان الرابعة والأخيرة، مصدر سابق، ص159.

2). محمد الصادق عفيفي، ديوان رفيق، شاعر الوطنية الليبية، مطبعة الرسالة، القاهرة، مصر، د.ط، سنة 1959م، ص23.

3). رفيق شاعر الوطن – خليفة محمد التليسي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ط2، 1971، ص 134.

4). السابق نفسه، ص 135.

5). عبد ربه الغناي، رفيق في الميزان، منشورات مكتبة الأندلس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1967م، ص 5.

في قصـائده تنبئ عن المعاناة والتحمل من جيل قاد مسيرة كفاح طويل، سطرها في قصـائده التي كان لها التأثير المباشر والفعال في حياته السياسية والاجتماعية والسلوكية.

المبحث الثاني

التحريض على الجهاد ضد الإيطاليين

الجهاد فرض على المسـلمين كافة للدفاع عن دينهم وأموالهم وشـرفهم، ولهذا توجب على الليبيين مسـاهمتهم وإعلانهم الجهاد عندما غزاهم الطليان، حيث هبوا كرجل واحد من قراهم وأريافهم ومدنهم للدفاع عن وطنهم، وارتفعت أصوات الشعراء تحرض وتستنهض على الجهاد، وكان على رأسهم شاعر برقة أحمد رفيق المهدوي الذي ما ادخر جهدا في استنهاض الهمم في دوره التحريضـي ضـد مغتصـب أرضه، وفي دعوته للجهاد جاء ذلك من قصيدة بعنوان: (أتفرون ولما ننتقم) بقوله:

أمـة الطـليـان هـل أنـتـم بشـر؟ أم لئـام الأصـل من جنس الغجر

أرأيـتـم كـيـف يـجـزي مـن طـغـى وشـهـدتـم كـيـف عـقـبـى مـن غـدر

ذقـتـمـوا مـا تسـتـحـقـون وهـل يـحصـد الـزارع إلا مـا بـذر[1]

هذه الأبيات السـابقة تعكس مشـاعر ملتهبة راحت تفجر صـوت الشـباب وتدافع عن مصـالحه وآماله في كل مراحل كفاحه ضد المستعمر البغيض

وفي قصيدته الشهيرة التي تحمل عنوان (صحيفة الوطن) حيث أخذت الأوضاع تتخذ شكلا تحكميا من الدولة المحتلة، وشـرع المواطنون في مقاومتها على صـفحات الجرائد ببيان تصـرفاتها الجائرة، فأرسـل أحمد رفيق المهدوي هذه القصيدة محييا ومشجعا يقول:

عش، رافع الرأس، حرا، أيهـا الوطن[2] يـعـيـنـك الـحـق والإقـبـال والـزمـن

1). ديوان شاعر الوطن الكبير، أحمد رفيق المهدوي، الفترة الثالثة، ط1، 1946، ص 164.

2). الوطن: اسم لأول جريدة وطنية صدرت في بنغازي سنة 1920م، أسندت رئاسة تحريرها إلى المرحوم عوض بو نخيلة وكان يقوم بتحريرها المرحومان: عمر فتحي بك المحيشي والأستاذ: محمد محمد بن عامر المحامي ولكنها لم تدم لأن السلطة الإيطالية منعتها من الصدور.

*شطب- ش ط ب: شطب منه عدل وُبعد والشطائب: الفرق المختلفة، انظر مختار القاموس، للشيخ الطاهر الزاوي، مصدر سابق، ص 380.

جرد يراعـك، مبريـا، بـذي شـــطـب* من الصـــراحة، كي تصـــغى له الأذن

فـرب قـول جـريء، كـان أنـفـذ مـن ســهم، ورب مســيء قصــده حســن[1]

ومن خلال زرع أحزاب شرعية خائنة، وتجنيد أذناب يطالبون بالوصاية، ويعملون لصالح الاستعمار في قالب مغاير وفي ثوب جديد من الخيانة وهذا ما عكسه أحمد رفيق المهدوي في شعره التحريضي بقوله من قصيدة بعنوان (قفا نبتسم) بقوله:

ســمعنا أناســا يذكرون وصــاية نعوذ برب النـاس من شــر شــيطـان

أيـدرون مـا معنى الوصــاية ليتهم بهـا ســألوا (أهـل الشــام ولبنـان)

هـي الرق لكن لا يرى في رقـابنـا كقيـد حـديـد بـل كـأغلال عميـان

فلا خيري عنـد الأوصــيـاء لو أنهم مــلائـكــة جــاءوا بــوحــي وقــرآن

إلى أن يقول:

ســتبدي لنا الأيام من كان مخلصــا ومن كان يســعى خلف جاه وســلطان

ويـذكر تـاريخ الجهـاد صــحـائفـا تخلـد ســعي المرء في عمره الثـاني[2]

فالشـاعر أبدع في دوره التحريضـي والجهادي ضـد الطليان الذين اغتصـبوا وأخروا وجهلوا شـعبه لحقبة من الزمن فـ (هذه النماذج الشعرية المختلفة في مقارعة الغزاة الأجانب، والتي تخفق فوقها رايات النثرية،

1). ديوان شاعر الوطن الكبير أحمد رفيق المهدوي، الفقرتان الرابعة والأخيرة، مصدر سابق، ص47.

2). ديوان شاعر الوطن الكبير، أحمد رفيق المهدوي، الفقرتان الرابعة والأخيرة، مصدر سابق، ص26.

والقوالب الشعرية، ولا يمكن مهما كان المناخ السياسي فيها يطغى على المناخ الفني أن نقلل من أهمية الدور التاريخي الذي لعبته في حياة الجهاد الوطني ضد المغتصبين الغزاة) [1]

المبحث الثالث

الغربة والحنين في شعر المهدوي

قصائد مختارة

غربة الوطن والحنين إليه مأســـاة في حياة المواطن المهجر من بلده، فهي ذكريات الصـــبا، وملاعب الأحباب، ومحط الآمال، في ربوع الوطن ومن فارقه فقد ضـــيع آماله وعاش ذليلا مهانا، تطارده الذكريات وتتمثل لخياله، إذا جنه الليل، ويشتد ألمه إذا تصور أن أحبابه سلوا حبه لبعده عنهم، فهو في كلا الحالين مخطئ إذ يهجر بلدا فيها حبيبه"[2]

فالشاعر عاش الأمرّيْنِ: الغربة والحنين، فهو يهجر وطنه؛ لأن نفسه تأبى الضيم، والحر من يهجر بلدا عزيزا، ولا يراه مهانا وهو يخشى ألا يعود.

هكذا عاش رفيق في هجرات مستمرة منها مرتين إلى تركيا ثم إلى أرض الكنانة –مصر– لأنه لم يرض عما فعله الاستعمار من قتل لليبيين وتشريدهم عن وطنهم والاستيلاء على أرضهم وسلب خيراتها، ومنع الحريات التي تعبر عن وجدانهم تجاه بلدهم.

جاهد رفيق بفكره ومشاركته الفعالة في إيقاظ الشعور الوطني والحث على الجهاد ضد المغتصبين لبلاده، فكانت قصائده نارا في وجه المحتل حتى تضايق منه وقاموا بتهجيره خارج وطنه، فهو يعيش ألم الغربة والحنين.

وقبل الحديث عن هذا المبحث يجب أن نتجه إلى قواميس اللغة لتعريف الغربة والحنين.

الحنين لغة: من الفعل حنّن، فالحنين: الشديد من البكاء والطرب، وقيل: هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن أو فرح.

والحنين: الشوق وتوقان النفس، والمعنيان متقاربان، حن إليه يحن حنينا فهو حان. [3]

1). معين بسيسو، عطر الأرض والناس في الشعر الليبي المعاصر، دار مراد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني، ط1، 2010م، طرابلس، ليبيا، ص23.

2). ديوان شاعر الوطن الكبير (الفترة الثالثة) أحمد رفيق المهدوي، ط1، سنة 1946م، مصدر سابق، ص117.

3). لسان العرب لابن منظور، دار الجيل، بيروت، دار لسان العرب، بيروت، م1، ج1، 1988م، ص741.

أما الغربة من فعل: غرب: غرب أي بعد، ويقال: أغرب عني أي تباعد، ... والغربة والغرب: النزوح عن الوطن والاغتراب، والاغتراب والتغرب كذلك، نقول منه: تغرب، واغترب، وقد غربه الدهر، ورجل غرب، وبضم الغين والراء، وغريب: بعيد عن وطنه، والجمع غرباء. [1]

وفي الاصطلاح:

الحنين: مصـــطلح أدبي طغى على الشـــعراء الذين ابتعدوا عن أوطانهم فاعتراهم الشـــوق إليه، فكانوا يتغنون به وبجماله وهم بعيدون عنه، ولا يكون شـــعر الحنين إلى الأوطان إذا كان المرء في وطنه، إلا إذا كان في غربة نفسية".[2]

فالغربة: "الذهاب والتنحي عن الناس، والغربة والغرب: النوى والبعد.

والغربة نوعان: غربة القهر، وغربة الذات، والغريب من كان بعيدا عن وطنه وأهله، والمغترب: من قصد الغربة".[3]

فهذا الألم الذي عاشـــه أحمد رفيق المهدوي في حنينه وغربته عن وطنه يمثلان هاجســـا واحدا في وجدانه، فلا اختلاف في المعنى، فهما يسـيطران على نفسـية الشـاعر، يتضـح ذلك في قصـائده التي تحمل معانيَ عميقة عند تحليلها بتمعن من حيث مناداته للوطن من ناحية شـــعورية، وحنين من ناحية أخرى، وإيقاظ للشعور الوطني؛ لتنبيه شعبه لصنيع المحتل المغتصب للوطن، فمن بين قصائده التي أوجد فيها مشاعره وحنينه إلى أرضه قصيدة بعنوان (حنين غريب لأوطانه) يقول فيها:

يـا من علـى البعـد نـهواه ويـهوانـا لشـــد ما شـــفنا شـــوق فأضـــنانا

ذكرى عهود الهوى بـاتـت تســـاورنـا يـا من يبلـغ لـلأحبـاب شـــكوانـا

إنـا بحكم الهوى صـــرنـا –ولا عجب– نـزيـد ذكـرا لـمـن يـزداد نســـيـانـا

إلى أن يقول:

1). المصدر السابق نفسه، م4، ج4، ص966.

2). المعجم المفصل في الأدب لمحمد التويخي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1991م، ص385.

3). المصدر السابق، ج2، ص669.

ما خيم الليل إلا بات يقلقنا شوق إذا رقد السمار ناجانا

نَحِنُّ شوقاً إلى أوطاننا فإذا تبسم البارق الغربي أبكانا

ومن سوانا جدير بالبكاء على ذكرى الفويهات (والبركا) و(جليانا)[1]

معاهد حبها لو لم يكن شغفا بما لها من جمال، كان إيماناً

قد طوحتنا الليالي عن مواطننا يا ويح كل غريب قدره هانا

لا عز إلا لثاو في مواطنه إن الغريب مهان أينما كانا

(ما أقدر الله) أن يدني على شحط سكان برقة من سكان جيحانا[2]

عين الزمان أصابتنا فلا نظرت وعذبت بصنوف الهجر ألوانا[3]

بدأ الشاعر قصيدته بحرف النداء: يا من وفي ذلك حسرة وحنين حينما تذكر أهل وطنه فناجاهم، وعاتبهم على نسيانه، مع أنه كلما اشتد به الشوق تحدث إليهم، إذ كيف ينساهم وما تذكرهم إلا حن لعمر الشباب الذي قضاه بينهم، فهو وفي لأحبابه وفي لأوطانه وفي لعصر شبابه، هكذا كان رفيق خاصة عندما عرج على الأوطان في قوله:

ما خيم الليل، إلا بات يقلقنا شوق إذا رقد السمار ناجانا

1). جليانه: ضاحية من ضواحي بنغازي وشاطئ من شواطئها الجميلة ولعلها اكتسبت الاسم بسبب هجرة احدى أسر جوليانه إليها في محنة الأندلس في المائة السابعة الهجرية. انظر الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، ط1، 1968م، ص108-109.

الفويهات والبركه من ضواحي بنغازي مناطق جميلة تمتاز بجمالها الطبيعي، انظر الديوان، الفترة الثالثة، مصدر سابق، ص2.

2). جيحان: بلد بآسيا الصغرى، من ولاية إدنه بتركيا، انظر الديوان، ص7.

3). ديوان شاعر الوطن الكبير، أحمد رفيق المهدوي، الفترة الثالثة، سنة 1946م، ط1، مصدر سابق، ص148-149-150.

نحن شـــوقـاً إلى أوطـاننـا فـإذا تـبســـم الـبـارق الـغـربـي أبـكـانـا

ويشير هنا إلى البارق الغربي وهو البرق مع الريح التي تهب على منطقة بنغازي في زمن الشتاء، كثيرا ما تكون ممطرة بغزارة، وهذا يذكره بوطنه الواقع غرب البلاد التي يقيم فيها.

ومن قصيدة أخرى بعنوان (من جيحان) قيلت سنة 1938م يقول فيها:

غـريـب يـحـن لأوطـانـه ويـبـكـي، عـلـى عصـره الـذاهـب

رمـتـه الـمـقـاديـر فـي مـوطـن بـعـيـد عـن الـخـل والصـاحـب

تـغرب مـذ شـب لـم يسـترح ولا فـر، كـالـخـائـف الـهـارب

أضـاع الشـباب، ولم يكتسـب سـوى أسـف، مضـمر، نـاصـب

ومـن يـنـأ، عـن أرض أوطـانـه يسـغ جـنـف الـعـاجـز الـغـالـب

ولـكـنـنـي، لا أسـيـغ الـهـوان ولا أقـبـل الـذل مـن غـاصـب

ربيـت علـى العز، من نشـأتي فـمـوتـي، عـلـى الـعـز، مـن واجـب[1]

هكذا رفيق لم ينقطع دائما عن الحنين إلى وطنه، فهو معذب، لا صـديق، ولا أنيس، فهو يقبل ذل الغربة، ولا يرض بذل الغاصب فقد ولد عزيزا وواجبه أن يظل كذلك.

وفي حنينه لوطنه، وحقيقة ما أجمل قصـائده الحنينية التي عندما يتوقف عليها المرء يشـعر حقيقة بالوطنية الصادقة ففي قصيدة بعنوان (رسالة إلى صديق) يقول:

تركت موطن آبائي، على مضـض مـمـا تـجـرعـت مـن هـم وويـلات

1). ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترة الثالثة، مصدر سابق، ص139.

والله مـا بـاخـتـيـاري أن أفـارقـه ... لو لم ينغصـــــه حكم الظـالم العـاتي

إنـي لأذكـر يـوم الـبـيـن إذ هـمـلـت ... مـدامـعـي فـوق خـدي مســـتـهـلات

وقـد تحيرت في أمرين، مـا فتئـا ... يـنـكـدان حـيـاتـي فـي مـنـاجـاتـي

حـب يـجـادبـني قـلـبـي، وتـدفـعـني ... نفس تربـت على حـب المســـاواة

لم ترض عزة نفســـي بـالمقـام على ... ضـــيم الأعـادي، وأربـاب الجهـالات

خرجـت من وطني، مثـل الطريـد فمـا ... ودّعْـتُ خِـلًّا ولا أدركـت ثـاراتـي[1]

وفي قصـيدة أخرى بعنوان (فراق وشـكوى) قيلت سـنة 1934م حيث سـلك الشـاعر في هذه القصـيدة مسلك الأقدمين في ابتدائهم لقصـائدهم بالتغزل، ثم الدخول في الموضـوع، ثم وصـف الحالة التي عليها وطنه وأبدى ألمه لما آلت إليه الحالة وهو يذكر ذلك في حنين وشوق يمرق أضلعه فيقول:

كـادت تطير بـأطلـعي أشـــواقي ... يـوم الـفـراق فـهـل يـكـون تـلاقـي؟

ودعـتـــه، والله يشـــــهـد أنـــني ... ودعـت راحـة قـلـبـي الـخـفـاق

يـا راحلا بـالصـــبر لم يترك لنـا ... غيـر الـحـنـيـن وزفـرة الـمشـــتـاق

ذكراك مثـل النـار في أشـــواقنـا ... تـزداد بـالـتـحـريـك فـي الإحـراق[2]

1). ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترة الثالثة، مصدر سابق، ط1، ص2.

2). ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترة الثالثة، مصدر سابق، ط1، ص17.

ويشتد الحنين بالشاعر إلى وطنه فهو لا ينفك يتحدث عن الوطن وآلامه، فهو في جيحان يتذكر ويأسى لمصابه، وهو ينصح بالصبر ويبشر الفوز من أجل تحرير وطنه من مخالب المحتل البغيض فيقول من قصيدة بعنوان (يا أيها الوطن) قيلت سنة 1936م.

يا أيها الوطن المقدس عندنا شوقا إليك، فكيف حالك بعدنا

كنا بأرضك، لا نريد تحولا عنها، ولا نرضى سواها موطنا

في عيشة، لو لم تكن ممزوجة بالذل، كانت ما ألذ وأحسنا

إلى أن يقول:

يا من تطوح في البلاد مهاجرا مثلي، وخلاها لمن قد (طلينا)

لا ترجعوا بأهل برقة، واصبروا فالصبر يجمل بالذي يبغي المنى

كونوا على حذر، ولا يغرركمو وعد، فيوم الفوز يوم قد دنا

وخذوا النصيحة من محب مشفق صدق الحديث ولا تقولوا من أنا[1]

فالشاعر قد "ضرب بشعره في كل ناحية تعبر عن ألم أو تدعو إلى كرامة، أو تشحذ العزيمة، أو تنوه بشأن الوطن، أو تدعو إلى رفعة شأنه والدفاع عنه".[2]

أحمد رفيق المهدوي يزداد حنينه وشوقه إلى أحبابه ويذكرهم بتلك الأيام الماضية، مبديا أسفه لفراقهم مؤكدا لهم أنه على العهد باقٍ.

فهو غريب وطريد يأسفه ما حصل له ولبلاده، وهو يسطر هذه الذكريات في قصيدة بعنوان (اذكروني) بعث بها من جيحان إلى الأستاذ بوكر وهو من أعز أصدقائه سنة 1937م يقول فيها:

1). ديوان شاعر الوطن، الفترة الثالثة، مصدر سابق، ص69، ص71.

2). الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، سنة 2004م، ص103.

يـا أحبـائـي شـــجـانـي بعـدكـم حـزن طـويـل

اذكـرونـي، كـلـمـا لاح لـكـم، وجـه جـمـيـل

اذكروني، حينمـا يجمعكم (في الكيف) ليـل[1]

أنـا، مـا زلـت علـى عـهـدكـمـو ذاك الـخـلـيـل

لســـت بـالنـاســـي لـذكراكم، وإن شـــط الرحيـل

يـا أحبـائـي، وقـد هبـت، من الشـــرق، عليـل

وذهـبـتـم، نـحـو جـلـيـانـه، والـوقـت، أصـــيـل

وازدهـاكم، شـــاطئ البحر، يحـاذيـه النـخيـل

وجلســـتم، عنـد تمثـال، لـه ظـل ظـليـل[2]

إلى أن يقول

صـــرت، في جيحـان، كـالمســـجون، ســـلواه العليـل[3]

1). الكيف هنا، هو اجتماع الإخوان للسمر والشرب والغناء.

2). هذا التمثال قصته تبعث في النفوس ذكرى عزيزة مبعثها الفخر، فالفخر قد كان في 19-10-1911م عندما نزلت القوات الإيطالية إلى البر وكيف قوبلت بالتصدي لها من قبل الليبيين وقد شيد مكان المعركة نصب تذكاري للقتلى.

3). ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترة الثالثة، مصدر سابق، ص 72-73.

الشاعر عاش هذا الحنين الذي يحرق فؤاده في لوعة إلى أحبابه ووطنه المحتل من قبل الإيطاليين جسد ذلك في تكرار مفيد عندما قال اذكروني اذكروني وأيضا في تكراره لحرف النداء وهو يقول يا أحبائي يا أحبائي فالقصيدة في مجملها مناداة لمواطن عاش بعيدا عن تراب بلاده.

لقد شكلت الغربة في نفسية رفيق يأسا يخالجه، فالعود أبعد ما يكون والعبرات تخنق صوته وهو يلقي على وطنه نظرة حيرى، حينما اضطرته قوة الطليان إلى الخروج من وطنه وهو يتألم لفراق وطنه ويودعه في لوعة وحسرة عبّر عن ذلك في قصيدة بعنوان (هجرة ووداع) يقول:

رحيلي عنك عزّ علي جدا ... وداعا أيها الوطن المفدى

وداع مفارق بالرغم شاءت ... له الأقدار نيل العيش كدا

وخير من رفاه العيش كد ... إذا أنا عشت حرا مستبدا

سأرحل عنك يا وطني وإني ... لأعلم أنني قد جئت إدا

ولكني أطعت إباء نفسي ... أبت لمرادها في الكون جدا

علو النفس إن عظمت شقاء ... يلذ لمن إلى المجد استعدا

إلى أن يقول:

وداعا لا أظن له لقاء ... فوا أسفا، إذا ما البين جدا

أناديه وقد زمت ركابي ... وهدّ البين ركن الصبر هدا

وجاشت تخنق العبرات صوتي ... وداعا أيها الوطن المفدى[1]

1). ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية، محمد الصادق عفيفي، المطبعة الأهلية بنغازي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1959م، ج1، ص23-24.

هكذا عبّر رفيق في هذه القصـــيدة عندما أراد أن يزمع الرحيل عن وطنه قاصـــدا تركيا ســـنة 1936م مهاجرا للمرة الثانية حينما اجتمع الأصـدقاء لوداعه حتى يلتهب الحماس في نفســه وينطلق لســانه بِدرّة من أروع ما نظم فيهتف رفيق مودعا وطنه ومواطنيه وخاصـــة أصـــدقائه ومســـيرة دربه المناهض للاستعمار الغاصب لوطنه.

هذه المعاناة التي عاشـــها رفيق بتهجيره خارج وطنه لم تنفك أن تلجمه عن جهاده بقلمه وتحريكه للوازع الوطني من أبناء وطنه لمناهضـــة المحتل، ولا ريب في هذا المبحث أن نذكر شـــيء من جهاده حينما تظهر مناهضـته الشـديدة للاسـتعمار ويظهر ذلك عندما شـارك المتظاهرين بقيادة جمعة عمر المختار عام 1950م فسجن، حتى قال فيه آن ذاك إبراهيم الهوني قصيدة[1] مطلعها:

دخولـك الســـجن مع عز وإحســـاس أهم من عز من ســـاد بوســـواس[2]

ومن ذلك فإن أحمد رفيق في كتابته الشـعرية يكره المسـتعمر وطغيانه لما تعرض له من نفي وإبعاد عن وطنه هذه الأمور جميعها جعلته حريصـــا على إيقاظ الشـــعور الوطني ومناداته بأن يغرس الكره في نفوس أجيال المسـتقبل من بني وطنه للمسـتعمر المحتل؛ لكي يتحقق له ما يتمناه من اسـتقلال لوطنه وحريته والمحافظة على خيراته والتنعم بها، هكذا هو رفيق في محافظته على هذا الإرث العظيم لوطنه.

لقد أحب رفيق وطنه حباً كبيراً، وعبَّر عن ذلك تعبيراً قوياً متماســكاً تحس فيه حرارة العاطفة وصـــدق المشاعر، وسمو الغرض، ونبل الهدف، والباحث في ديوانه يجد العديد من القصائد الوطنية التي تترجم هذا الحب بالدفاع عن وطنه، والدعوة إلى التضـحية في سـبيله، فهذه الأمور جميعها قد تضـايق منها المحتل فأمر بتهجيره خارج وطنه عدة مرات ليعيش في غربة وحنين ووجدان إلى وطنه، ولكن رغم ذلك لم ينس رفيق وطنه؛ بل دافع عنه بقلمه وهو خارجه؛ لكي يســتنهض الهمم وينبه الشـــباب من أهداف الاستعمار الذي منع الحريات وسلب الخيرات وشرد أبناء الوطن بين قتل وتهجير عن أرض الوطن.

ظل الشـاعر لا يخشـى مسـتعمرا أو ظالما، ولم يتقرب إلى المسـتعمر الفاشـي الإيطالي، ولم ينس بلاده ليبيا بالرغم من وجوده في بلد الغربة، كان يعاهدها بالبقاء على الجهاد وإن طال زمن الفراق، فيقول:

1). هو إبراهيم محمد الهوني، ولد في بنغازي سنة 1912م، تعلم في المدارس الإيطالية ببنغازي، اشتغل مدرسا في المرج، ثم التحق بالوظائف الإدارية، ثم اشتغل بالسلك القضائي...، له مجالات تأليف في الشعر من مؤلفاته: ديوان إبراهيم محمد الهوني، ج1، 2، توفي سنة 1969م، انظر دليل المؤلفين الليبيين، حصر للمؤلفين القدامى والمعاصرين من الفتح الإسلامي لليبيا حتى سنة 1976م، دار الكتب، طرابلس، 1977م، ص11.

2). انظر محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في ليبيا العربية، روافد المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، 121/3.

حنيناً وشوقاً يا بلادي فإنني وإن طال عنك العهد لست بخوان

فما كان بعدي عنك إلا ترفعا عن الضيم لا بغضا ولا قصد هجران[1]

ويشتد الألم برفيق في غربته عن الوطن في قصيدة بعنوان (فراق) يقول فيها:

سكنته يوم الرحيل فهاجا شوق أثار المدمع الثجاجا[2]

حاولت إظهار التجلد فأنتنى عزمي وراح تجلدي أدراجا

عالجت من ألم الفراق وهوله ما لا يفيد الصبر فيه علاجا

فعلمت كيف يكون نزع الروح في حال تضارب عندها الأوداجا[3]

أقسمت لو ذقت المنية لم تكن عندي أشد من النوى إزعاجا

إن الفراق بلا لقاء يرتجى موت يكرره الحنين هياجا

يا من نودعهم ونعلم أنهم جعلوا الوفاء على الوداد سياجا[4]

هكذا عبر الشاعر عن مأساة الرحيل؛ لأن شوقه يزداد يسكب الدموع الغزيرة التي تسيل بشدة رغم أنه في البيت الثاني يشير إلى محاولته في إظهار التجلد، ولكن هذا التجلد لا يستطيع أن يتحكم فيه؛ لأن عزمه لم يستمر؛ ولكنه يعيد أدراجه بعدمه.

1). ديوان شاعر الوطن الكبير، أحمد رفيق المهدوي، الفترة الثالثة، مصدر سابق، ص8.

2). الثجاجا: الدمع الذي يسيل بشدة.

3). الأوداجا: عروق العنق وهما: ودجان.

4). ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية، محمد الصادق عفيفي، ج1، ص22.

أما في البيت الثالث فالشاعر حاول معالجة ألم الفراق وهوله بالصبر؛ ولكن هذا الصبر لم يكن علاجا نافعا لألم الفراق وهوله.

والشاعر لا يرتجي اللقاء والعودة ويفقد الأمل في ذلك، فهو يعبر عنه بالموت المتكرر للحنين المسيطر على نفسية الشاعر ثم يتراجع الشاعر بوداعه لمسيرة دربه وأصدقائه؛ ولكن هذا الوداع من قبل الأصدقاء قد جعلوه وفاء ووداد مثَّل له الشاعر بالسياج المانع؛ لعدم الانهيار، فهو شوق وحنين وفراق لهم.

وفي مقال لصالح مسعود بويصير يقول: "لقد كان أحمد رفيق المهدوي ديواناً حافلاً بشتى المشاعر، جديراً بأن يتفرغ لدراسة كل جانب من جوانب شعره عدد من الدارسين، ويسيرون في كل جانب من هذه الجوانب ما يستوعب جهده؛ لكن الذين سيتعمقون في شعر رفيق سيجدون أن الجانب الوطني من شعره يمثل مكان الصدارة، وأعني شعره الذي كافح به الاستعمار الإيطالي، وسجل تاريخه؛ بل انطلق هذا التاريخ بدقائق وتفاصيل الجرائم التي ارتكبها الاستعمار الإيطالي والفاشي ضد شعبنا".[1]

يرى أحمد رفيق المهدوي في خروجه من وطنه خطئا جسيما وهفوة يجب ألا ترتكب فمن قصيدة بعنوان (وطني) يقول:

لم أكن يوم خروجي

من بلادي بمصيب

عجبا لي ولتركي

وطنا فيه حبيبي

إن من عاش غريبا

عاش لا شك كئيبا

1). مهرجان رفيق الأدبي، د. محمد دغيم، مرجع سابق، ص59، ص60.

وإذا كـــان أديـــبـــا

عـاش مـجـهـولا مضـــاعـا

يـنـفـق الـعـمـر الـتـبـاعـا

بـــيـــن حـــزن ونـــحـــيـــب

إلى أن يقول:

حـــيـــن آوي لـــفـــراشـــي

تـــلـــهـــب الأشـــواق جـــاشـــي

كـــفـــراش فـــي لـــهـــيـــب

لـــم أكـــن يـــوم خـــروجـــي مـــن بـــلادي بـــمصـــيـــب[1]

وفي تعليق لمحمد أحمد وريث يقول:

"ومن لم يجرب الغربة لن يستطيع التعبير عن مرارتها؛ ولكن شاعرنا جربها بنفسية الفنان الحساس الرقيق المشاعر؛ ولذلك فإن مرارتها أقسى ومذاقها أشد إحراقا؛ بل وتصبح الغربة لديه غربتين غربة إنسان عادي... وغربة فنان صادق. [2]

لقد لقب أحمد رفيق المهدوي بشاعر الوطن؛ لأنه جعل من قضية وطنه شغله الشاغل، تحس في شعره قوة الانتماء وعمق الارتباط بهذا الوطن، وهو في سبيل هذا الانتماء وهذا الارتباط لا يهادن ولا يراوغ؛

1). ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية، محمد الصادق عفيفي، مصدر سابق، ج1، ص19-20.

2). مهرجان رفيق الأدبي، د. محمد دغيم، مرجع سابق، ص142-143.

بل نجده دائماً في المقدمة ينير السبيل لأبناء وطنه، ويكشف الزيف والفساد، ويدعو إلى اليقظة والعمل".[1]

أحمد رفيق شاعر وطني، ضحى بحياته ومستقبله من أجل وطنه؛ لتخليصه من المستعمر الذي دنس الأرض وسلب الحريات، هُجِّر مراراً خارج وطنه، ورغم هذا لم يول جهدا في النضال؛ لإيقاظ الشعور الوطني وغرسه في أبناء شعبه.

وفي قصيدة بعنوان (بعد عام) يقول:

تكامل حول منذ فارقت أوطاني فما نلت في أثنائه غير أحزان

نوى قذف زمت ركابي ولم تزل تقلقل بي، حتى أتت أرض جيحان

فألقت عصا التياد في شر بقعة تألب في إرجائها شر سكان

تركت بلادي إذ شعرت بأنني سألقى صغارا منه يأنف وجداني

وسرت لأرض غير أرض مؤملا لعز، فكان في المصيبة سيان

فيا خيبة المسعى إلى غير موئل من النجع مشفوع بأعظم خسران[2]

هجرة رفيق ليست كهجرة كثير من الشعراء، فقد هاجر؛ لأنه كان وطنياً حراً، وكان شعره يقض مضاجع الطليان، ويترنم به غير وطنه فيزيدهم حماسة وعزيمة في جهادهم ضد المستعمر الغشوم، فلم تكن هجرته عنه طواعية واختيار؛ ولكنه أرغم عليها إرغاماً، وبهذا عاش الشاعر حرارة الغربة والحنين لوطنه الذي ولد فيه وترعرع في سهوله ووديانه، أحبه بإخلاص ووجدان، تغنى به كثيراً حتى لقب بشاعر الوطنية الليبية.

وفي تصدير ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية ج1 للأستاذ عمر الدسوقي يقول:

1). الطاهر بن عريفة، التعريف بالأدب الليبي، طرابلس، ليبيا، ط1، سنة 2000م، ص63.

2). ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية، محمد الصادق عفيفي، ج1، مصدر سابق، ص13.

"أما وطنيته فقد أوذي من أجلها، وآثر الغربة عن وطنه على عيشة الضيم والمهانة في ظل الاحتلال الطلياني، وقد اختار (جيحان) دار إقامته، إذ كان له بها أقرباء، ولكن الغربة زادت لوعة شوقه إلى وطنه الحبيب... فكان يحن إلى وطنه ومواطنيه، وقد عبر عن ذلك كله في عشرات من القصائد... وهو يشعر بمرارة الغربة ولوعة الفراق عن الأهل والأحبة والأوطان".

يقول:

قد طوحتنا الليالي عن مواطننا يا ويح كل غريب قدره هانا

لا عز إلا لتأوِ في مواطنه إن الغريب مهان أينما كانا[1]

أحمد رفيق المهدوي كان شعره بمثابة ناقوس ينبه به شعبه ويفضح دسائس الاستعمار الإيطالي والانجليزي حتى في غربته عن وطنه، حيث دعا إلى وحدة بلاده ودعمها وعززها بقلمه وشعره وموقفه المؤيد لاستقلال ليبيا، في أروع لفتاته الوطنية الصادقة في شعره حرصا ودعما ومناداة بأعلى صوت دون جبن أو ضعف مما يحاك لشعبه من دسائس الاستعمار والخونة الخانعين والبائعين لوطنهم، هذا هو أحمد رفيق دافع عن فكرة وحدة وطنه حتى انشغل بها فصارت جزءا من حياته وشغله الشاغل.

وفي نظرات في شعر رفيق السياسي للدكتور محمد دغيم يقول: "عندما استقر بالشاعر المقام في موطنه الثاني وإن شئت في منفاه حتى يتساءل عن وطنه الأصلي الذي تركه وكيف صار أمره بعد رحيله عنه:

يا أيها الوطن المقدس عندنا شوقا إليك فكيك حالك بعدنا؟

ثم يذكر أن نفسه الأبية لم ترض أن تحيا في عيش رغيد تظلله الذلة ويغلفه الاستعباد وأن قلبه لم يطق صبرا على فراق الوطن، وكيف أنه تركه لما شاهده من ظلم وأذى لا يحتملهما حر أبي...، ويدعو رفيق مواطنيه أن لا يعودوا إلى الوطن الذي ليس لهم فيه إلا الذل والهوان وأن يستعدوا ليوم نصر قريب".[2]

1). ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية، محمد الصادق عفيفي، ج1، مصدر سابق، ص10-11.

2). مهرجان رفيق الأدبي، د. محمد دغيم، مرجع سابق، ص110-111.

بنـا فمـا عنـك اسـتطـاع تصـبرا قلـب، ولا فيـك اطمـأنـت نفسـنـا

إلى أن يقول:

خرجوا بلا مـال فصـاروا عرضـة للفقر والبـأسـاء، يعقبهـا الفنـا

يـا مـن تـطـوح فـي الـبـلاد مـهـاجـراً مثلي وخلاهـا لـمن قـد (طلـينـا)

لا ترجعوا يـا أهـل برقـة واصـبروا فـالصـبر يجمـل بـالـذي يبغي المنى

كـونـوا عـلـى حـذر ولا يـغـرركـمـو وعـد فـيـوم الـفـوز يـوم قـد دنـا[1]

وفي ختام هذا المبحث نشـير إلى أن حياة رفيق كانت مليئة بالذكريات التي رسـخت في شـعبه حب الوطن والدفاع عنه، سخر شعره لإيقاظ الشعور الوطني، ونادى بالتحرر والاستقلال عن الغرب، تتلمذ في مصر، وأحب أرضها، ولم يكن إقليميا بل كان انشغاله بأمته العربية مساويا لانشغاله بوطنه ليبيا، حذر من ممارسات الأعداء والمتزلفين والمتسلقين والخونة، حذر منهم إلى آخر ساعة في حياته.

رفيق مدرسة أدبية، عالج فيها جميع جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والجمالية.

اسـتطاع رفيق أن يضـرب بشـعره في مجالات عدة، قفنونه الشـعرية متعددة، تكلم عن الوطنية، وهذا محور شـعره وثقافته، وعن الطبيعة وعن القصـة، وفي مجالات الشـعر جميعا من غزل، ورثاء، وهجاء بأسلوب جذاب يرتقي إلى تأثره بشعراء العصر الذين واكبوه في مسيرته الشعرية.

الخاتمة

من خلال دراسة تأثير الوطن وغربته في شعر أحمد رفيق المهدوي وما جال به في نصوصه الشعرية التي استعرض الباحث جزءا منها وهي موضوع الدراسة نخلص من ذلك إلى:

1_ من خلال تحليل وسـرد النماذج الشـعرية للشـاعر اتضـح منهجه في غلبة المعاني الإخبارية على الأسـاليب الإنشـائية التي اتخذها الشـاعر قوالب لصـياغة المعاني، ومرجع ذلك غلبة الروح الوطنية

1). ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترة الثالثة، مصدر سابق، ص69-70.

المســـيطرة على نفســـه في انســـياب عفو الخاطر والقريحة؛ لأن المعاني المطلوبة خبرية أكثر منها إنشائية، فالوطن محتل، والخونة والرجعية ضاربة أطنابها.

2_ استخدام التكرار غير الممل والإكثار فيه؛ لكي يؤكد معانيه، نجد ذلك مثلا في قصيدة الشاعر التي يقول في مطلعها: (لم أكن يوم خروجي...).

3_ يسلك المهدوي في بعض قصائده مسلك الأقدمين في ابتدائهم لقصائدهم بالتغزل ثم الدخول في الموضوع، ومثال ذلك قصيدته الوطنية (فراق وشكوى).

4_امتاز المهدوي باستخدام أسلوب التهكم والسخرية من الاستعمار وأعوانه؛ ليضيف تشوقا للقارئ وتأثيرا في نفسه، ليتخير موقفاً وطنياً مشابهاً.

5_ الحنين وغربة الوطن لم تضعفا من قدرة الشاعر على الصمود والتصدي للاستعمار الإيطالي؛ بل قاوم ذلك في غربته بكل قوة وإصرار.

6_ تحسُّ في شـــعره قوة الانتماء وعمق الارتباط، لا يهادن ولا يراوغ؛ بل نجده دائماً في المقدمة ينير السبيل لأبناء وطنه، ويكشف الزيف والفساد، ويدعو إلى اليقظة والعمل.

7_ الشـاعر مدرسـة أدبية وتاريخية، نجد في شـعره خلودا لا يعوزه قدم، يتضـح ذلك من قوة المعاني والألفاظ التي يدعو بها إلى إيقاظ الشعور الوطني.

8_ نلحظ في شعره بأن الألفاظ تتميز بالسهولة والوضوح، فهي ألفاظ خطابية تحمل مضمونا وطنيا تحريضيا وترفع الروح المعنوية للمجاهدين والشباب، فهي معاني النضال والكفاح والمقاومة.

9_ لقد عبر الشـــاعر عن الحنين والغربة المكانية بذكر الوطن، الذي هُجِرَ من أجله، كما ذكر الأحبة والأصدقاء، كما حن الشاعر إلى أيام الشباب بذكر الذكريات بشعور مرهف وكلام صادق ينبئ على صدق المودة والمحبة النابعة من أعماق الشاعر وهذا قد تجلى ذلك بوضوح عندما ذكر أماكن اللقاء مع أصدقائه وأحبته.

المصادر والمراجع

- أبو ديب، الصيد محمد. المدرسة الكلاسيكية في الشعر الليبي الحديث. جامعة عين شمس. مصر. رسالة ماجستير.
- بسيسو، معين. (2010). عطر الأرض والناس في الشعر الليبي المعاصر. ط1. دار مراد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني. طرابلس. ليبيا.
- بن عريفة، الطاهر. (2000). التعريف بالأدب الليبي. ط1. طرابلس. ليبيا.
- التليسي، خليفة محمد. (1971). رفيق شاعر الوطن. ط2. مؤسسة الفرجاني، طرابلس، ليبيا.

- التونجي، محمد. (1999). المعجم المفصل في الأدب. ط1. دار الكتاب العلمية. بيروت. لبنان.
- خفاجي، محمد عبدالمنعم. د.ت. د.ط. قضية الأدب في ليبيا العربية.، روافد المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
- دغيم، محمد. (1993). مهرجان رفيق الأدبي. ط1. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي. ليبيا.
- دليل المؤلفين الليبيين. (1977). حصـــر للمؤلفين والمعاصـــرين من الفتح الإســـلامي لليبيا حتى ســـنة 1976م.دار الكتب. طرابلس.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (1980). مختار القاموس. د.ط. الدار العربية للكتاب. ليبيا. تونس.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (1968). معجم البلدان الليبية. ط1. مكتبة النور. طرابلس. ليبيا.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (2004). أعلام ليبيا. ط3. دار المدار الإسلامي. بيروت. لبنان.
- عفيفي، محمد الصـادق. (1969). الاتجاهات الوطنية في الشـعر الليبي الحديث. ط1. دار الكشـاف للنشـر والطباعة والتوزيع. بيروت. القاهرة. بغداد.
- عفيفي، محمد الصـادق. (1959). ديوان رفيق شـاعر الوطنية الليبية. د.ط. مطبعة الرسـالة. القاهرة. مصـر. ج1.
- الغناي، عبد ربه. (1967). رفيق في الميزان. ط1. منشورات مكتبة الأندلس. بنغازي، ليبيا.
- لسان العرب لابن منظور. (1988). دار الجيل. بيروت. دار العرب. بيروت. م1، م4.
- المهدوي، أحمد رفيق. (1946). ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية. ط1. الفترة الثالثة.
- المهدوي، أحمد رفيق. (1961). ديوان شـــاعر الوطن الكبير (الفترتان الرابعة والأخيرة). ط1. طبع على نفقة وزارة العمل بالمملكة الليبية.

The Influence of the Homeland and its Alienation in the Poetry of Ahmed Rafiq Almahdawi

Mohamed Nuri Abdulsalam Gamo

department of arabic language, faculty of education, al-asmariya islamic university, zliten, libya

Abstract

This modest study aims to study a historical literary figure, namely (Ahmed Rafiq Al-Mahdawi). Rafiq lived until his death in 1961 as a poet of Libyan nationalism, as Professor Muhammad Al-Sadiq Afifi classified him, who collected the first part of his collection of poems. He never disappointed his fellow citizens in him, despite the years of colonialism that controlled his country. Thus, the national aspect dominated his poetry, as his concern was to support national unity and incite jihad against the Italians until the occupier became annoyed with him, so he was exiled outside the homeland to Turkey and the sister country of Egypt. He lived his life in exile and longing for his homeland. This research studies the extent of the influence of the homeland on Al-Mahdawi's exile, as well as the extent of support for national unity and incitement against the Italians in his poetry, whether inside or outside the country. This research also points to the role of writers and scholars in the necessity of paying attention to this writer who dealt with important issues in his poetry that can be used by future generations to raise their awareness of the conspiracies being hatched against their religion and homeland. This is the character of the creative poet who threw his arrow in these repeated calls to his countrymen.

Keywords: homeland, poetry, alienation, nostalgia.